التجمع العالمي لفرق السيدة – فاطيما 2018

تطور فرق السيدة وانتشارها العالمي

كونستانزا و ألبرتو ألفارادو

مقدمة

بناء على طلب من الفرقة المسؤولة الدولية، أعددنا بحثاً منذ عامين حول تطور فرق السيدة وانتشارها العالمي، وأبرزنا فيه دور الأب كافاريل. تجب الإشارة إلى مظهرين اثنين في هذا المسار: النمو الجغرافي والزمني للفرق، والرسالة الهامة التي ألحقها الأب كافاريل بهذا التطور والتي أسماها "التأهيل". نود اليوم أن نركز حديثنا على هذه النقطة بالذات والتي نعتبرها في أساس عالمية فرق السيدة والتي تؤكد ما شعر به الكاردينال لوستيجه حين وصف مؤسسنا بأنه "نبي عصرنا".

يقول الأب كافاريل: *"في الواقع أننا شهدنا بعد انقضاء مرحلة نضوج بطيء دامت ثلاث سنوات انتشاراً هائلاً لمجموعات من الأزواج في فرنسا والاتحاد الفرنسي وبلجيكا وسويسرا والنمسا ومصر وكندا، وفي أماكن كثيرة أخرى بالتاكيد"*.

دعونا نرى كيف ومتى حدث هذا الانتشار.

اليوم، بعد مرور سبعين سنة على وجود حركتنا، نحن موجودون في قارات العالم الخمسة، وفي 95 دولة، في ما يزيد على 13500 فرقة. ينتسب إلى هذه الفرق نحو 69000 كوبل يعدّون حوالى 138000 عضو بالإضافة إلى 9346 كاهن مستشار روحي. لا يوجد إلا القليل فقط من حركات الكنيسة التي يمكنها أن تعتمد، كما جاء في شرعتنا، على "مجموعة من المتطوعين"، وتملك عدداً ومميزات مشابهة وحضوراً في جميع بقاع العالم تقريباً.

أعرب الأب كافاريل خلال محاضرة له أعطاها في البرازيل عام 1972 عن قلق كبير يشعر به: ***"قد يشكل النمو خطراً إن لم يصحبه تأهيل جوهري"***. لذلك، بعد أن أشرنا إشارة سريعة إلى النمو وإلى إلحاح الأب كافاريل الذي كان يهتم بالنوعية أكثر من اهتمامه بالكمية، سوف نركز حديثنا على جوهر هذا "التأهيل" بأن نعود إلى فكر المؤسس الظاهر في كتاباته وبأن نتذكر دائماً عمل الله المستمر في الانتشار الدولي للحركة.

كيف يمكن لمنظمة بهذا العدد من الأعضاء وهذا الانتشار في العالم كله أن تحافظ على وحدتها بأمانة كاملة لأهدافها وأساليبها؟ ليس هذا بديهياً! إنه تجلي العناية الإلهية والروح القدس، وفق ما أعلنه الأب كافاريل قبل سنوات من وفاته في محاضرته النبوية التي ألقاها في شانتيي في عام 1987.

منذ عام 1959، ومع القفزة الكبيرة التي كانت ستقوم بها الحركة باتجاه العالمية، طُرحت مسألة جديدة تتعلق بالهيكلية الدولية للحركة والتي شرحها المؤسس بالتعابير التالية:

"هل من الضروري أن نؤسس في كل بلد إدارة وطنية مستقلة أم نشكل حركة كبيرة بإدارة واحدة؟ جرى الحوار حول هذه المسألة بشكل واسع خلال اللقاءات الدولية وتم في النهاية اختيار صيغة الحركة الواحدة. لم يكن ذلك طلباً للسهولة... بل كان المطلوب الذهاب باتجاه الوحدة الأكثر كمالاً استجابة إلى همّ يسوع... "ليكونوا واحداً، كما نحن واحد".

نحصل على الوحدة إذا ما تقاسمنا بأمانة كاملة فكراً واحداً يستند إلى موهبة الحركة وروحانيتها ومنهجيتها التربوية. دعونا نرى كيف جرى البناء التدريجي للعناصر التي كانت راسخة في فكر المؤسس: الحب البشري، الحب الزوجي، سر الزواج، الروحانية الزوجية، الوسائل اللازمة لبلوغها، رسالة الكوبلات والحركة.

1- الحب البشري

استناداً إلى فكر الأب كافاريل، نجد رؤيته عن الحب البشري في مقال كتبه عام 1958 :

"الحب حقيقة كبيرة جداً ومقدسة جداً وهو يتجسد في ما هو الأكثر مادية في الكائن البشري، غير أنه يتصاعد نحو ما هو روحي! هذا الحب البشري الذي يتبادله الرجل والمرأة، حتى لو كان خارجياً بالنسبة إلى الشخص، يشكل بداية حب داخلي عميق. وبالتالي، نحن مكوّنون بصورة يُدخلنا فيها العالم الحسي في العالم الروحي. والحياة الجنسية... هذا الانجذاب الجسدي الذي يعاش بشكل صحيح طبعاً، يدفع الكائنات لأن تلتقي فتصل شيئاً فشيئاً إلى حب أسمى حتى تتوصل إلى الحب المشبع بشكل كامل بحب الله والذي يدعى بالمحبة الزوجية..."

كان مثل هذا التصريح في ذلك الوقت شيئاً ثورياً، فالتأكيد على أن الحياة الجنسية عامل قداسة وأن المتعة الجنسية حقيقة مقدسة أرادها الله هو أمر لا يزال يدهش بعض الناس إلى يومنا هذا. بعدها باثنتي عشرة سنة، وفيما كانت الحركة تمهد للحج إلى روما في عام 1970، وبعد أن سأل الأب كافاريل البابا بولس السادس عن الموضوع الذي يريد التحدث عنه مع أعضاء الفرق، قام بإعداد مذكرة من 30 صفحة تبحث في الكمال الإنساني والمسيحي للحياة الجنسية، وأرسلها إلى البابا لأخذ رأيه. أجابه البابا بهذه العبارات : *"هذا الموضوع لم ينضج بعد، ولذلك لا أستطيع الموافقة على طلبك"*. تطلب الأمر أعواماً كثيرة ليؤكد قداسة البابا بندكتوس السادس عشر في رسالته البابوية *"الله محبة"* النص النبوي لمؤسسنا :

"...الإنسان كائن مكون من جسد وروح... ولكن لا الجسد وحده ولا الروح وحده يحب : إنه الإنسان، هو الشخص الذي يحب بصفته مخلوقاً موحداً يضم الجسد والروح.

ولا يحقق الإنسان ذاته بالكامل إلا حين يذوب الاثنان في كيان واحد. وبهذه الطريقة فقط يمكن للحب – غريزة الحب- أن ينضج ليبلغ بعده الحقيقي".

مما تقدم، يمكننا تعريف الحب الزوجي بأنه "الرغبة العميقة في التكامل التام بين شخصين مختلفي الجنس، وهي تدفعهما لتقديم ذاتيهما من أجل تحقيق حياة مشتركة تهدف إلى نمو الآخر". وهكذا يشكلان جسداً واحداً وروحاً واحدة.

يميز إريك فروم Erich Fromm بين موقفين يتخذهما الكائن البشري تجاه الحياة. يقوم الموقف الأول على "طريقة الامتلاك" وهو موقف أناني، بينما يقوم الموقف الثاني على "طريقة الوجود" في التفاني ووهب الذات وهو موقف غيريّ. يوجد في الحب الزوجي محرّضان: تدفع القوة الأولى الإنسان لأن يكون "محبوباً" من الآخر وتدفعه القوة الثانية إلى أن "يحب الآخر". يتعلق المحرض الأول بمفهوم فروم حول "طريقة الامتلاك" وهي تعني احتجاز الكائن المحبوب أو سجنه أو السيطرة عليه. بيد أن هذا التصرف خانق ومدمر ومميت ولا يعطي الحياة. يرتبط الحب الحقيقي بطريقة الوجود ويقوم على وهب الذات إلى الآخر. إنه يقوم على العناية بنمو الآخر وراحته وسعادته وذلك بأي ثمن كان.

بالتالي، يقوم الحب الزوجي على الرغبة في تحقيق خير القرين وفي الاستسلام الكلي له دون أن ينسى البعد الجسدي للكائن البشري ومتطلباته الخاصة. أكد الأب كافاريل في هذا الخصوص: *"الإقرار بدور الجسد في اتحاد الرجل والمرأة أمر جوهري. واحتقار الجسد بحجة التمسك بروحانية سامية لا يمثل موقفاً مسيحياً أصيلاً، مثلما هو الأمر حين تعظيم الجسد أو التخلي عن متطلباته"*. الود والصداقة والحنان والرغبة التي يعبر عنها الواحد تجاه الآخر هي مشاعر موجودة في الحب الزوجي. إنها تساعد على إدراك ما هو خير للآخر، وتثير الرغبة في عمل الخير للآخر أي بحبه. بيد أن الحب الزوجي الحقيقي يتجاوز المشاعر فهو ثمرة قرار.

مواصفات الحب الزوجي التي تتوافق مع طريقة الوجود عديدة ومتنوعة. نذكر منها: الحب الزوجي *ديناميكي* فهو يبحث عن *الوحدة داخل التنوع*، ولكنه *ضعيف* جداً إذا ما قارناه بحب الأم. تشكل الحياة الجنسية جزءاً لا يتجزأ من الحب البشري.

بحسب فكر الأب كافاريل، الحياة الزوجية التي تعاش وفق حب أصيل يقوم على تقدمة الذات إلى القرين، هي الطريق الأكثر ضماناً للقاء الله. وبالتالي، يتطلب هذا الطريق ممارسة المغفرة بصورة مستمرة.

2- سر الزواج

كان الأب كافاريل يقول: *"لننطلق من مفهوم الزواج المسيحي الذي لا يقوم على العطاء المتبادل بين الرجل والمرأة وحسب، بل هو تقدمة الكوبل وتكريسه للمسيح. حينذاك، الزوجان اللذان يستسلمان بتقدمة ذاتيهما ينفتحان للمسيح فيحقق المسيح حضوره فيهما"*.

والزواج بصفته سراً مدعو إلى أن يكون علامة ظاهرة لمحبة الله ولعطاء المسيح ووحدة الكنيسة. هذه هي الحقيقة التي تريد الحركة أن ترعاها وتيسرها وتعززها وتنشرها، وهي مقتنعة بأن فرق السيدة تؤسس الروحانية الزوجية في سر الزواج.

يوضح الأب كافاريل ذلك بقوله: *"حين يقال بأن الزواج سر فهذا يعني بأن جميع حقائق الزواج تحمل النعمة للأزواج الذين يعيشون وفق المشيئة الإلهية. والمسيح يقدم نعمته إلى كل من الزوجين من خلال الحياة الزوجية وما تحمله من قيم"*.

النِعَم التي يتلقاها الزوجان بواسطة سر الزواج متعددة ومتنوعة : العهد المقدس مع المسيح، الكمال في الحب، الأمانة، الاتحاد الذي لا تفصم عراه بواسطة المواظبة على الحب، المغفرة المتبادلة، التقديس بواسطة الزواج، تربية الأولاد على الإيمان، الخ. بيد أن هناك نعمة فائقة الأهمية لاتذكر إلا قليلاً هي "نعمة الحالة". إنها تقوم على رعاية الروح القدس الدائمة للزوجين لكي يتمما مسيحياً جميع الواجبات والمسؤوليات الخاصة بحياة الزوجين.

بهذا الشكل، نحن نعطي في سر الزواج عهداً مزدوجاً ومتبادلاً : العهد الذي يتبادله الزوجان من خلال السر والعهد الذي يقطعه المسيح مع الزوجين. إنه "السر الكبير" الذي يتحدث عنه القديس بولس بخصوص الزواج وهو في الوقت ذاته عطية الله الكبرى إلى الزوجين : الله، وهو الأمين المطلق، يلتزم مع الزوجين اللذين يمكن أن يثقا ملء الثقة بهذا الحب الأمين بفضل حضور المسيح وعونه.

أعطانا زوجان من فرقتنا هذه الشهادة بعد أن عاشا سنوات عدة في حياة مشتركة قبل أن يتزوجا:

"لطالما شكلنا كوبلاً صعباً جداً. كانت طباع زوجي شديدة التعقيد. كان الغضب يسيطر عليه، وعلى الرغم من الجهود التي كان يبذلها، كان كثيراً ما يصب غضبه عليّ وعلى أولادنا. كنا نعيش في ذعر، ولقد بذلنا جهوداً حقيقية لتحسين علاقتنا من دون التوصل إلى أية نتيجة. إلا أنه بعد أن حصلنا على سر الزواج، بدأت حياتنا بالتغير تغيراً جذرياً. كان حضور المسيح بيننا هو سر تحولنا. يجب على الشخص الذي دخل يسوع في حياته أن يعيش بسلام وهذا ما حصل لنا. وهذا جلي الآن فينا."

الحب البشري في سر الزواج هو العلامة الحسية التي تعكس محبة الله. هذه هي رسالة الزوجين المتحدين بالمسيح في الزواج : جعل محبة الله ظاهرة لجميع المحيطين بهما. وبكلمات أخرى مألوفة لدينا : أن نظهر للعالم أن الزواج هو طريق للحب والسعادة والقداسة.

3- الروحانية الزوجية

في افتتاحية رسالة حزيران 1950، رد الأب كافاريل على التعليقات التي كانت تنتقد فرق السيدة وتصفها بأنها *"مجموعات روحانية"* ومجموعات منغلقة حول مذهب صوفي منفصل عن العالم. كان صريحاً حين أكد أن كلمة *"الروحانية"* تخلق مشاكل عديدة فتوجه إلى أعضاء الفرق قائلاً: *"كيف نبدّد الالتباسات؟ يكون ذلك بالتأكيد حين نحدد بدقة ما تعنيه كلمة "الروحانية"*.

يجب أولاً عدم الخلط بين الروحانية والمذهب الروحاني. يقول المذهب الروحاني بأن الإنسان مكون من روح ومن مادة، وهو بتمجيده الروح وسحقه المادة، يقود إلى نوع من الملائكية. إنه توجه سيء كالنزعة المادية التي تمجد المادة وتقضي على الروح. أما الروحانية المسيحية فهي تخصّ الكائن بكلّيته وتقوم على أن يحيا الإنسان بكلّيته في توافق مع الروح القدس".

من الواضح أنه يجب عدم الوقوع بالتباس حول معنى الروحانية، لاسيما حين يتعلق الأمر بالروحانية الزوجية التي تمثل روح انتمائنا إلى الحركة. وقد تكون هذه الروحانية هي التي جذبت الأزواج إلى الحركة لأنهم كانوا يرغبون في النمو في الروحانية المسيحية بصفتهم أزواجاً نالوا سر الزواج.

ولقد عرّف الأب كافاريل *الروحانية الزوجية* بأنها *"فن عيش المثالية الإنجيلية التي عرضها المسيح على تلاميذه، في الزواج"*.

وشرح ذلك قائلاً: *" هذا يعني إضفاء الروح المسيحية على الحياة العائلية بكاملها... ولا يقتصر الأمر على اكتشاف فكر الله في جميع هذه المجالات بل يجب أن يقترن ذلك بالرغبة في تحقيقه. ويتجاوز الأمر ما تقدم ليصل إلى السعي لتحقيق ما يمكن تسميته بالنموذج المسيحي للعائلة: النمط المسيحي في العلاقات بين الأشخاص، بين الزوجين، بين الأهل وأولادهم، بين الأهل والأجداد، بين العائلة والأصدقاء؛ إنه نمط عيش مسيحي للمحيط: البيت، وجبات الطعام، المصروف؛ وهو نمط عيش مسيحي في النشاطات اليومية: العمل، الراحة، النهوض، النوم، السهرات، الضيافة. كيف التوصل إلى أن يكون كل شيء مسيحياً وأن نُظهر صورة المسيحي وأن يُشع كل ما نعمله نعمة المسيح؟ هناك نمط حياة مسيحية لكل يوم... وهناك نمط مسيحي للأحداث الهامة: الولادة، المرض، المحن، الزواج، الموت... نعيش جميع هذه الأحداث مسيحياً وذلك بهدف تمجيد الله في كل شيء"*.

هذه النظرة إلى القداسة أكدها مؤخراً البابا فرنسيس في توجيهه الرسولي "افرحوا وابتهجوا" حين قال:

"في أحيان كثيرة، نميل إلى الاعتقاد بأن القداسة محصورة بأولئك الذين يملكون القدرة على الابتعاد عن المشاغل العادية ليكرسوا الكثير من وقتهم للصلاة. هذا غير صحيح. نحن مدعوون جميعاً لأن نكون قديسين بأن نعيش والحب يغمر قلوبنا وبأن نقدم شهادتنا من خلال مشاغلنا اليومية حيث يتواجد كل منا".

انطلاقاً مما عرضناه في الفقرة السابقة، يمكن أن نلاحظ العلاقة الوطيدة التي تربط بين سر الزواج والروحانية الزوجية التي تشكل روح موهبة الحركة. هذا يعني أن الزوجين يعيشان بالإيمان عهد المسيح مع كيانهما الزوجي، وأنهما يتلقيان بفضل هذه الحقيقة الفائقة للطبيعة النِعم المرتبطة بالسر لكي يطورا روحانيتهما الزوجية التي تقودهما إلى القداسة.

لقد دعينا إلى القداسة، فهي هدف الروحانية الزوجية. بيد أن الأب كافاريل يوضح لنا هذا الأمر: *"ليس القديس كما يتصوره الكثيرون، بطلاً يحقق مآثر في مجال الفضيلة واستعراضات روحية عظيمة. إنه بالدرجة الأولى هائم بالله فيقدم إلى الله حياته كلها... وأنتم وقد دعيتم إلى القداسة، عليكم بلوغها في الزواج ومن خلاله"*.

نضيف على ما تقدم أن القداسة الزوجية ليست أمراً نصل إليه بل هي شيء يعاش وهي نتيجة حياة تعاش زوجياً وفق وصية يسوع الجديدة التي يعبّر عنها من خلال الرحمة تجاه القريب: *"كونوا رحماء كما أن أباكم السماوي رحيم"* (لوقا 36/6). فعلينا إذن أن نقتدي برحمة الله فهي التي تمثل طريقة وجود الله.

بيد أن البابا فرنسيس، إلى جانب إشارته إلى تفاصيل صغيرة خاصة بالقداسة، يعلن في توجيهه الرسولي الأخير عن مظهر جديد يكوّن الإحساس الجماعي بهذه القداسة:

"الجماعة مدعوة لإيجاد "الجو الإلهي حيث نستطيع أن نختبر الوجود الروحي للرب القائم من الأموات"... إن الحياة الجماعية، سواء كانت في العائلة أو الرعية أو الجماعة الدينية أو في أي مكان آخر، مكونة من الكثير من التفاصيل اليومية الصغيرة. ولقد حدث ذلك في الجماعة المقدسة التي كوّنها يسوع ومريم ويوسف حيث ينعكس جمال الاتحاد الثالوثي بشكل واقعي. وهذا ما حدث أيضاً في الحياة الجماعية التي عاشها يسوع مع تلاميذه ومع الشعب البسيط".

ألا يشكل السعي إلى القداسة الجماعية لعائلاتنا وفرقنا دعوة خاصة؟

4- الوسائل لبلوغ الروحانية الزوجية

توجد علاقة وثيقة بين المنهجية التربوية لفرق السيدة وتنظيمها، وبين الروحانية الزوجية وتقدم الكوبلات الروحي. تهدف المنهجية التربوية لفرق السيدة وتنظيمها إلى مساعدة العائلات على بناء مشروعهم

الحياتي في الروحانية الزوجية وذلك بأن يخصصوا في حياتهم وقتاً محدداً للمناجاة وللحوار الزوجي والتعاون المتبادل بين الأزواج وفي الفرقة. كان الأب كافاريل يقول بأن التعاون المتبادل هو وصية الحب بالنسبة إلى فرق السيدة وهو العمود الفقري للحركة. تقتضي حياة الفرقة الأخذ بعين الاعتبار القرارات الشخصية والقرارات الزوجية وبذل جهود محمودة للاهتداء التدريجي على طريق الزوجين.
والقربان المقدس هو بحسب الأب كافاريل الوسيلة المميزة لنجاح الروحانية الزوجية :
"يحتل القربان المقدس مكاناً رئيسياً في حياة المسيحي، غير أنه يجب عدم فصله عن عناصر أخرى من هذه الحياة المسيحية حيث يمهد البعض الطريق ويشكل الآخرون الثمار. أكتفي بذكر ثلاثة عناصر ذات أهمية فائقة: المحافظة على الإيمان، خاصة بالمثابرة على قراءة كلمة الله؛ المناجاة، وأقصد هنا المناجاة العقلية التي نسميها التأمل؛ ومحبة القريب، وهي حية وفعالة في آن. بهذا الشكل، يكون سر الزواج "مفعلاً بقوة" من خلال ارتباطه بالقربان المقدس، فيعطي بذلك ثماراً وافرة من الأمانة والنقاوة والإشعاع الرسولي والقداسة الزوجية".
من جهتها، طورت فرق السيدة منهجيتها التربوية المبنية على دعائم أساسية ثلاث : نفاط الجهد الحسية، حياة الفرقة متضمنة لقاء الفرقة الشهري، مقاصد الحياة. تهدف هذه الوسائط إلى مساعدة العائلات على إيجاد ثلاثة مواقف أساسية : البحث المتواصل عن مشيئة الله، البحث عن الحقيقة التي تخصهم، خبرة اللقاء والمشاركة مع الكوبلات.
لا يمكن فهم الروحانية بمعزل عن الصلاة الزوجية والشخصية. بحسب منهجية الفرق، الصلاة موجودة في ثلاثة أسس:
- في مقاصد الحياة، تُقترح المناجاة بأشكال من الصلاة الشخصية : التأمل، التأهيل، الزهد والتقرب من الأسرار.
- حول نقاط الجهد الحسية الستة، الثلاثة الأولى تتعلق بالصلاة.
- في لقاء الفرقة وبعد الإصغاء إلى كلمة الله، تصلّي الكوبلات بتقديمها إجابة شخصية لكلمة الله ثم يقومون بتلاوة صلاة تسبيح قصيرة أو صلاة طلب أو صلاة شكر.
أُعطي لنا اتجاه التقدم، وهو جوهري للروحانية الزوجية والذي نراه طريقاً نحو القداسة، من خلال "قاعدة الحياة". تقوم قاعدة الحياة على أن يحدد الزوج أو الزوجة أهدافاً حسية للتقدم، ويمكنهما مراجعتها شهرياً خلال لقاء الفرقة.
"الرياضة الروحية" هي الزمن المميز لمعرفة مشيئة الله لكل من الزوجين وللكوبل، من خلال اللقاء بالرب، وجهاً لوجه، في جو هادئ من الصلاة العميقة والخشوع.
"واجب المجالسة" الذي يعتبر أهم حدس قدمه الأب كافاريل هو ما يميز حركة فرق السيدة. *"إنه أداة هامة جداً لأنه يثري روحانية الزوج والزوجة بأن يساعدهما على أن يعيشا المغفرة المتبادلة بشكل أفضل، وعلى النمو في الحب الزوجي وحب الله والآخرين على طريق القداسة"*. بالإضافة إلى ذلك، هو أداة جيدة للمعرفة والقبول المتبادل، وللتعرف على خصالنا وقبول نقائصنا وعيوبنا.
يعاش كل ما يتعلق بالماضي ويتعزز من خلال حياة الفرقة، التي يشكل اللقاء فيها أفضل تعبير عنها. الفرقة بالنسبة إلى الأب كافاريل جماعة إيمان أي كنيسة صغيرة ضمن شروط معينة: اللقاء بالإيمان، الانفصال عن كل ما نتعلق به، الاجتماع باسم المسيح، الاتحاد بالمسيح بواسطة المحبة الأخوية، الإصغاء إلى المسيح الحاضر في كلمة الله، تقديم الإجابة للمسيح بواسطة الصلاة الشخصية والصلاة في الفرقة (صلوات شكر وتسبيح وطلب).
غير أنه يوجد في حياة الفرقة ولاسيما في اللقاء الشهري شيء آخر أساسي وهو بالتالي خاص بفرق السيدة: إنه حضور الكاهن كعضو في الفرقة. لم يأتِ اختيار هذه السمة المميزة نتيجة لتأمل لاهوتي بل جاء ثمرة خبرة الكوبلات الأولى ومؤسس الحركة. حول هذه التجربة كتب الأب كافاريل:
"كانت تنقص هؤلاء الأزواج أفكار محددة حول عقيدة الزواج المسيحي، فجاءهم حدس عميق ملأهم رجاء وقادهم نحو أحد الكهنة قائلين: "هذا الحب البشري الذي يشكل ثروتنا وفرحنا، لا يمكن لله إلا وأن

*يستخلص منه شيئاً فائق الجمال والعظمة. نحن نرغب في معرفة هذا الأمر ونريدك أن تكشفه لنا" . عرفت بغير صعوبة وأنا أصغي إليهم أنني سوف أخيّب أملهم بقساوة إن أنا اكتفيت بعرض تعاريف قانونية وبتقديم قواعد أخلاقية. فجاء ردي حينها: **"لنبحث معاً، لنتحد ولننطلق في اكتشافنا" ...***
قدم كل منا خبرته: قدم الكاهن معلوماته عن الزواج وعن مجمل العقيدة المسيحية، وقدم الأزواج خبرتهم الناشئة عن الحب والزواج... وشيئاً فشيئاً وَضَح الدور المميز للزواج المسيحي في مخطط الله الواسع... لم يكن المطلوب البحث عن طريق آخر للسير نحو الرب، فالزواج طريق مقدس والعائلة المسيحية خلية حية في الكنيسة" .
وختم قائلاً:
*"لم تكن خصوبة التعاون القائم بين الكاهن والكوبلات لتخفى عليّ. ولقد كانت واضحة بالنسبة إلى الكوبلات أيضاً مما دفع أحدهم إلى شكر الله في صلاته لأجل **"اقتران السرّين: سر الزواج وسر الكهنوت"** . يقدم الكاهن العقيدة بينما يقدم الأزواج خبرتهم : ينتج عن هذا التلاقي فن العيش المسيحي في الزواج."*
وأخيراً، فإن الفرق مكرسة للسيدة، ويؤكد الأب كافاريل حول هذا الأمر : *"ليس التعبد لمريم اختيارياً فهو الإقرار بالحقيقة، بل هو الإقرار بمخطط الله. ليست مريم في هذا المخطط مجرد زينة. إن لها وظيفة فريدة، فهي حواء الجديدة، مع المسيح، آدم الجديد، في أصل المسيحية. إنه اعتبار يطيب لآباء الكنيسة التوسع فيه" .*

5 – رسالة الكوبلات وحركة فرق السيدة

"اذهبوا في العالم كله، وأعلنوا البشارة إلى الخلق أجمعين" (مرقس 16/ 15)، هذه هي الوصية التي تركها لنا يسوع في ختام حياته. وليست البشارة إلا شخص المسيح بالذات. وجوهر سر الزواج ما هو إلا حب الزوجين على صورة المسيح، فهو في الوقت ذاته العلامة الحسية التي تعكس محبة الله. ونقول بكلمات أخرى أننا نحن الأزواج المرتبطين بالزواج المسيحي، نحن سر محبة الله.
والفرقة، بصفتها جماعة إيمان، تبلغ كامل نضجها "حين ترسل أعضاءها في العالم، وهي مدفوعة بروح المسيح، ليُظهروا هذا الحب". وتفقد الجماعة معناها إذا ما ظلت منكفئة على ذاتها. يقوم سبب وجودها على مدى التزامها في العالم. وبالفعل، فإن المسيح قد وهب حياته للعالم أجمع وليس لشعب أو جماعة محددة.
يقول الأب كافاريل في هذا المعنى : *"يكمن المظهر الأول لمهمة الزوجين الرسولية في التعريف بالله وإعلان محبته" .*
يرتكز هذا العمل القائم على التعريف بالله وإعلان محبته على شهادة الحياة التي يكشفها حب الزوجين في حياتهما الزوجية وهما متشبعان من محبة الله. كل ما قلناه حول موضوع عيش وحدة الفكر بأمانة في فرق السيدة، هو أكثر من نظرية أو عقيدة. إنه نتيجة خبرة عميقة في موهبة الحركة وروحانيتها ومنهجيتها. وهذا ما يجذب أزواجاً آخرين لإشراك المسيح في زواجهم.
نحن مدعوون من جهة أخرى إلى أن نبني عائلات مسيحية أصيلة. ولقد عبّر عن هذا الأمر مرسيديس وألفارو غوميز فيرير، العائلة المسؤولة سابقاً عن الحركة : *"قد يكون الدرس الأهم الذي تقدمه لنا فرق السيدة هو في تذكيرنا من حين إلى آخر بأن العائلة تعتمد على الزوجين، وأن الاعتناء بالكيان الزوجي وبالحب الذي يجمعه وبنموه ستنعكس فائدته على العائلة دائماً لأنها تعتمد على محبة الزوجين التي يجب أن تدوم مدى الحياة" .*
يكمن أساس التربية المسيحية للعائلات في تربية أولادنا على الإيمان وعلى القيم المسيحية، وهي تربية تنجح بشكل أساسي من خلال عملية "التقليد" أكثر منها من خلال الخطاب، وذلك بنسبة ثلاثة إلى واحد بحسب علماء نفس المجتمع. لذلك، أعزاءنا الآباء والأمهات في فرق السيدة، لا تهتموا بما ستقولونه

لأولادكم بل احرصوا على إعطائهم شهادة عن حبكم وعن الانسجام بين ما تؤمنون به وما تعيشونه. وهذا يكفي!

كان الأب كافاريل يقول : *"لا يُختزل عمل الرسول بالشهادة أو التأثير الشخصي، إنه واجب أيضاً"*. ومن بين مختلف أشكال العمل الرسولي، كان يشدد على دور الضيافة في العائلة :

"في قلب العائلة، "الخلية في الكنيسة"، يلتقي المضيف بالمسيح، وهذا ما يجعل ممارسة الضيافة عملاً رسولياً أصيلاً. ويمكن أن نضيف بأنها العمل الرسولي المميز للعائلة المسيحية : يعطي الحب البشري (الحب الزوجي، حب الأب والأم، الحب البنوي والحب الأخوي) بشكل مستمر شهادة عن مصدره، إنه يعطي شهادة عن الحب الإلهي أصل كل حب... بيد أنه من أجل جذب المضيف، على هذا الحب أن يشع وأن تكون العائلة بسيطة وصادقة وسعيدة ومحِبة. إنها الوسيلة الوحيدة التي تولّد الحماس".

وأخيراً، يجب علينا، نحن أعضاء فرق السيدة، أن نظل متيقظين لنداءات البابوات الأخيرين حول ضرورة استقبال من هم بأمس الحاجة إلى رحمة الله "في حضن الكنيسة الصغيرة". والمطلوب أن تكون حقول العمل المميزة لعمل العائلة الرسولي قائمة على تأهيل المخطوبين، ومرافقة الكوبلات الجدد، ومساعدة العائلات التي تمر في أزمة، ومساعدة الأشخاص المنفصلين والمطلّقين، والمطلّقين المتزوجين ثانية. ولقد وجّه لنا البابا القديس يوحنا بولس الثاني : "عسى أن يجدوا في طرقهم شهادات عن حنان الله ورحمته".

نحن نعتقد بأن ما قيل خلال النقاط الست السابقة يشكل خلاصة فكر نبي عصرنا الأب كافاريل حول التأهيل الأساسي الذي يجب أن يشكل الرباط الذي يؤمّن وحدة الحركة على المستوى العالمي. وهذا التأهيل هو ما يجب أن تعرفه وتستوعبه وتعيشه بأمانة الفرق الجديدة من أجل تفادي خطر انتشار الحركة بمعزل عن تأهيل عميق.

بيد أن هناك أمراً آخر. كان الأب كافاريل يتساءل حول دعوة الحركة في عالم اليوم. لنصغِ إليه:

"لا يتعلق الأمر بأن نكون مجرد حركة محافظة تحفظ الإيمان في الكنيسة، إذ يجب أن نكون خميرة تجديد بل ثورة روحية. وإن لم تكن فرق السيدة في غداة المجمع هذه الخميرة لتجديد الكنيسة، فلسوف تُترك على قارعة الطريق، فتبرز حينها حركات أخرى آمل أن تكون أكثر ثورية لتعمل على "تحديث" الكنيسة[...] نحن نريدها أن تكون مفيدة للقرن المقبل ولكن هذا يفترض أن تعاد صياغتها وفقاً لهذه الكنيسة التي تحتاجها اليوم أكثر من أي وقت مضى".

نختم حديثنا بأن نعلن أن عمل الروح القدس الذي كان الأب كافاريل أداة نعمته قد سمح لحدسه أن يروي شيئاً فشيئاً العالم أجمع، متجاوزاً الحدود الجغرافية والثقافية أيضاً. ولقد تحقق ذلك لأنه صادف قلوباً مستعدة وعقولاً منفتحة لتلقي رسالته، على مثال التسعة آلاف شخص المجتمعين اليوم في هذا اللقاء بالإضافة إلى أولئك الذين يتابعوننا من بيوتهم عبر الإنترنت وجميع الذين سبقونا خلال العقود الثمانية الماضية، لنتمكن من الاحتفال بدعوتنا الأسرارية وبرباطنا المقدس. هذا الشعور بالإعجاب أمام هذه النعمة التي تلقيناها والأمانة التي انتشرت فيها الحركة عالمياً لهي سبب للاحتفال كما أنها تعطي معنى لهذا الجهد الكبير الذي حققناه لكي نجتمع بعد أن تغلبنا على الكثير من العوائق المتنوعة : الاقتصادية واللوجستية والعائلية..الخ.

لنتابع إذن احتفالنا بهذا اللقاء في الإيمان والصداقة والفرح والشكر لكي نتقاسم محبتنا ضمن حركتنا، حركة فرق السيدة. شكراً جزيلاً